انه كان يغتاب الحجاج بن يوسف الثقفي ويتشفى منه قال ابو عمرو فخرجت
يوما في غلس الصبح اريد التنقل من الموضع الذي كنت فيه الى غيره
فسمعت منشدا يقول

ربما تكره النفوس من الامر ۞ له فرجة كحل العقال

وسمعت عجوزا تقول مات الحجاج فوالله ما ادري بايهما كنت
اسر بقول العجوز ام بقول المنشد له فرجة بفتح الفاء والفرجة بالفتح
في الامر وبالضم في الحائط وغيره من المحسوسات قلت انظر الى هذا
الامام رضي الله عنه كيف تساوى لديه سروره بموت من اراد ضرره
او بقول المنشد فرجة مع ان سروره بموت من يريد ضره اعظم
لكن اهتمامه رضي الله عنه بالعلم ومعرفته به اوجب ان يكون سروره
بموت من اراد ضرره وبمسألة علمية سواء وهذا يشير الى قول الشافعي

لا يعرف الشوق الا من يكابده ۞ ولا الصبابة الا من يعانيها

ومثله رضي الله عنه من يعرف قدر العلم واهله فحاشاه مما يحزن عليه
الا ان كان الحجاج من الفصحاء حكي انه قال يوما ليحيى بن يعمر اتسمعني
الحن فقال له امير المؤمنين افصح من ذلك فاعاد عليه القول واقسم
فقال له نعم تجعل ان المفتوحة مكان ان المكسورة اشار الى ما وقع
يوما في صلاة جهر وهو ان قرأ سورة والعاديات الى ان وصل الى قوله
تعالى ان ربهم بهم يومئذ لخبير فجرى لسانه ان قال أنّ بالفتح فلقيه
اللام وهو لا يقع الا في خبر ان المكسورة فاسقطه فرارا من اللحن
فكان الذي فر اليه اعظم مما فر منه فقال له ارحل عني ولا تجاورني
وقال عبد الملك بن مروان اللحن هجنة على الشريف وكان يقال اللحن
اقبح في المتكلم من اثار الجدري في الوجه وقال ابن شبرمة ان الرجل يلحن
وعليه الخز الادكن وكانما عليه اثواب رثة وان الرجل يعرب وعليه اثواب
رثة وكانما عليه الخز الادكن ومن هذا ما انشده بعض الشعراء

لا تنكرن

لا تنكرن الى الاثواب مغترب ۞ ناى المحل بعيد الاهل والدار
وانظر اليه اذا ما قام في ملإ ۞ بمنطق لذوي الالباب سحار

وقال اخر في معناه ايضا

اني وان كانت اثوابي ملفقة ۞ ليست بخز ولا من نسج كتان
فان في المجد همات وفي لغتي ۞ فصاحة ولساني غير لحان

وقال بعض النساك اعربنا في كلامنا فما نلحن ولحنا في اعمالنا فما نعرب
ومن هذا ما ينسب لسيبويه رحمه الله تعالى

لسان فصيح معرب في كلامه ۞ فيا ليته في موقف العرض يسلم
وما ينفع الاعراب ان لم يكن تقى ۞ وما ضر ذا تقوى لسان معجم

وقال غيره

لسان فصيح في الحيوة وانتفى ۞ اذا ما عليه في القيامة يعقد
وادعى عوجا في موقف الحشر للجزا ۞ وتشكل اعضائي علي بتشهد

قال بعض الموقفين وقد يستثقل الانسان اذا تتبع الاعراب في الكلام
الذي لا يتقيد بكتب كما حكي ان عيسى بن عمر النحوي جاء رجلا الى بلال
ابن ابي بردة فجعل عيسى يتتبع الاعراب والرجل ينظر اليه فقال القاضي
لان يذهب بعض حق هذا احب اليه من ان يلحن فلا تتشدق يا هذا
واقصر حاجتك وحكي ايضا ان رجلا من الثقات فقدم رجلا في دين له عليه
الى القاضي فقال اصلح الله القاضي لي عليه درهمان فقال له خصمه
لا والله ايها القاضي ما هو الا ثلاثة دراهم ولكنه لظهور الاعراب
ترك درهما قلت وبعد فادب العربية ودواوينها انما هو التبحر
ولا يكن احد من المولدين اخافته الا بمعرفة النحو ولا يطيق احد من
المتكلمين ان يتعاطى قول الا بعد اتقان وجوه العربية فاذا تكلف
منه متكلف غير عارف بالعربية خبط في عشواء وبان عوار الجاهل
فاذن من هذا من يتكلف من العامة ويتعجب عنه فانما ذلك في